مجموعة قصص الأنبياء



بإشراف
محمد أحمد برانق

٢

نوح عليه السلام

دار المعارف بمصر

مجموعة قصص الأنبياء

(٢)

بإشراف
محمد أحمد برانق

نُوحٌ

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

أَخْرَجَ اللهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعْدَ أَنْ أَكَلا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا ، وَأَسْكَنَهُمَا هٰذِهِ الأَرْضَ ، فَعَاشَا فِيهَا أَعْوَامًا طَوِيلَةً ، وَسِنِينَ كَثِيرَةً ، فَعَمَرَتْ الأَرْضُ بِهِمَا ، وَبِأَبْنَائِهِمَا ، وازْدَادَ عَدَدُ سُكَّانِهَا بِأَحْفَادِهِمَا ؛ فَكَثُرَ النَّاسُ ، وأَصْبَحُوا جَمْعًا كَبِيرًا ، وشَعْبًا عَظِيمًا ، يَتَّجِهُونَ إِلَى اللهِ فِي عِبَادَتِهِم ، وَيَرْجُونَهُ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِم ، وَيَدْعُونَهُ إِذَا ابْتَلاهُمْ ، وَيَشْكُرونَهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ .

مَرَّتِ السِّنُونَ ، وكَرَّتِ الأَعْوَامُ ، والنَّاسُ يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ ، ولاَ يَسْجُدُونَ لِسِوَاهُ .

اشْتَهَرَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَمْسَةُ رِجَالٍ طَيِّبُونَ ، عُرِفُوا بِالصَّلاحِ وَالتَّقْوَى ، وَطَهَارَةِ القَلْبِ ، وَنَقَاءِ النَّفْسِ ، وَحُسْنِ السَّرِيرَةِ ؛ وكانت أَسْمَاؤُهُمْ : وَدًّا ، وسُوَاعًا ، ويَغُوثَ ، ويَعُوقَ ، ونَسْرًا .

أَحَبَّ النَّاسُ هٰؤُلاءِ الرِّجَالَ الْخَمْسَةَ الطَّيِّبِينَ ، وتَعَلَّقُوا بِهِمْ ؛ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَجَالِسَهُمْ : يَسْتَمِعُونَ إِلَى نَصَائِحِهِم ، وَيَعْمَلُونَ

بِإرْشَادِهِم ، ويَقتَدُونَ بِهِمْ ، وَ بأعْمَالِهِم ، وأَخْلَاقِهِمْ ، فَتَمْتَلِئُ قُلُوبُهُم إيمانًا ، ونُفُوسُهُم نُورًا ، وهِدايةً .

مَاتَ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالُ الْخَمْسَةُ الطَّيِّبُونَ ؛ فَحَزِنَ النَّاسُ لِمَوْتِهِمْ ، وتَأَلَّمُوا لِفِرَاقِهِم ، وكانُوا يتَمَنَّوْنَ أَنْ يَعِيشوا دَائِمًا ، وأَنْ يُخَلَّدُوا فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ .

وَسْوَسَ إبْلِيسُ لِلنَّاسِ أَنْ يَصْنَعُوا تَمَاثِيلَ لَهُمْ ؛ تُوضَعُ فِي مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا ، وتُسَمَّى بِأَسْمَائِهِم ، فَفَعَلُوا .

كَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي نُصِبَتْ فِيهَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ : فِي كُلِّ صَبَاحٍ ، وفِي كُلِّ مَسَاءٍ .

أَمَّا سُكَّانُ الْجِهاتِ الْبَعِيدَةِ عَنْ هٰذِهِ التَّماثِيلِ — فَإِنَّهُمْ كانُوا يَتَجَمَّعُونَ بَيْنَ حِينٍ وحِينٍ ، ويَذْهَبُونَ إِلَى تِلْكَ الْأَماكِنِ ، ويَقْضُونَ فِيهَا أَيَّامًا : يَتَبَرَّكُونَ بِهَا ، ويَسْأَلُونَ اللّٰهَ فِي هٰذِهِ الْأَماكِنِ الْمُقَدَّسَةِ ، أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ، وكَانُوا لَا يَمْنَعُهُم مِنْ ذٰلِكَ مَشَقَّةُ السَّفَرِ ، ولَا عَذَابُ الانْتِقَالِ .

فَلَمَّا مَاتَ هٰؤُلَاءِ النَّاسُ ، و فَنِيَ هٰذَا الْجِيلُ ؛ جَاءَ جِيلٌ وجِيلٌ وجَاءَتْ بَعْدَهُمَا أَجْيالٌ ، بَالَغُوا فِي تَعْظِيمِ هٰذِهِ التَّمَاثِيلِ مُبالَغَةً

وصَلَتْ إِلَى حَدِّ الْعِبادَةِ ، واعْتَقَدُوا أَنَّ آبَاءَهُم وأَجْدَادَهُم ، كَانُوا يَتَشَفَّعُونَ بِتِلْكَ التَّمَاثِيلِ ؛ الَّتِي تَرْمُزُ لِهٰؤُلَاءِ الرِّجالِ الْخَمْسَةِ ، ويُوَسِّطُونَهَا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اللهِ .

وشَقَّ عَلَى الْمُسِنِّينَ مِنْهُمُ السَّفَرُ ، وتَعَذَّرَ الِانْتِقَالُ ، فَصَنَعُوا تَمَاثِيلَ مِثْلَهَا ، وأَقَامُوهَا فِي بِلَادِهِم ، وعَظَّمُوهَا ، واسْتَشْفَعُوا بِهَا عِنْدَ اللهِ ، كَمَا كَانُوا يَسْتَشْفِعُونَ بِالتَّمَاثِيلِ الْأُولَى .

ثُمَّ نَسِيَ النَّاسُ أَنَّ هٰذِهِ التَّمَاثِيلَ كَانَتْ لِرِجَالٍ خَمْسَةٍ طَيِّبِينَ ، هُمْ : وَدٌّ ، وسُوَاعٌ ، ويَغُوثُ ، ويَعُوقُ ، ونَسْرٌ ؛ وظَنُّوا أَنَّ هٰذِهِ التَّمَاثِيلَ ، والْأَصْنامَ ، تَتَوَسَّطُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الْإِلٰهِ الْكَبِيرِ ؛ لِتَقْضِيَ حَاجَاتِهِمْ .

وعَلَى مَرِّ الزَّمَنِ ، نَسِيَ النَّاسُ أَيْضاً أَنَّ هٰذِهِ التَّمَاثِيلَ ، وتِلْكَ الْأَصْنامَ وُسَطَاءُ ؛ يُوَسِّطُونَهَا لِلْإِلٰهِ الْكَبِيرِ ، وظَنُّوا أَنَّهَا هِيَ الْإِلٰهُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ ، فَسَجَدُوا لَهَا ، ونَسُوا رَبَّهُمْ ، واتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، وعَكَفُوا عَلَى عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنامِ ؛ الَّتِي صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِم مِنَ الْحِجارَةِ أَوِ الْخَشَبِ ؛ وغَيْرُ هٰؤُلَاءِ مِنَ النَّاسِ عَبَدُوا بَعْضَ مَا خَلَقَ اللهُ : كَالشَّمْسِ ، والْقَمَرِ ،

أَوْ بَعْضَ مَالَهُ أَثَرٌ فِي حَيَاتِهِم : كَالنَّارِ ، والْبَقَرِ .

هٰكَذَا كَانَ اعْتِقَادُهُم ، وهٰكَذا كانَتْ آلِهَتُهم : أحْجارٌ صَمَّاء ، وتَمَاثِيلُ خَرْساء ، أَوْ غَيْرُ ذٰلِكَ مِمَّا لا يَرَى ، وَلاَ يَسْمَعُ وَلا يَفْهَمُ ، ولا يَضُرُّ ، ولا يَنْفَعُ .

هٰؤُلاَء النَّاسُ جَمِيعًا أَضَلَّهمُ الشَّيْطانُ ، وأَغْوَاهُم ، ونَسُوا اللّهَ ، ولٰكِنَّهُ لَنْ يَنْسَاهُم .

اخْتارَ اللّهُ لِهِدَايَتِهم ؛ وإرْشَادِهِمْ رَجُلًا نَشَأَ بَيْنَهُمْ ، ولٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ .

عَاشَ فَقِيرًا ، ولٰكِنَّهُ كَانَ تَقِيًّا طَاهِرًا ، حَفِظَهُ اللّهُ مِنْ شُرُورِ الْقَوْمِ ، وآثَامِهِمْ ، وأَبْعَدَهُ عَنْ أَصْنَامِهِم وإشْرَاكِهِم ، وَجَمَّلَهُ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ ، وفَضَّلَهُ عَلَى قَوْمِهِ جَمِيعًا ، فَحَمَّلَهُ رِسالَةً قَامَ بِهَا وأَدَّاهَا ، ولٰكِنَّهُ لاقَى فِي سَبِيلِها الشَّدَائِدَ والأَهْوالَ ، والصِّعَابَ ، والآلاَمَ .

٢

ذَهَبَ نُوحٌ إِلَى النَّاسِ الطَّيِّبِينَ مِنْ قَوْمِهِ — وهُم الفُقَرَاءُ والمُسْتَضْعَفُونَ — فِي ظَلامِ اللَّيْلِ ، يَدْعُوهُمْ سِرًّا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، والأَوْثانِ . جَمَعَ النَّاسَ الفُقَرَاءَ ، وقالَ لَهُم :

يَا قَوْمِ ؛ إِنَّ اللهَ قَدِ اخْتَارَنِي لِهِدَايَتِكُم ، وإرشَادِكُم ، أُبَشِّرُ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِحُسْنِ الثَّوَابِ ، وأُنْذِرُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوَتِي بِأَنَّ اللهَ سَيُعَاقِبُهُ عِقَابًا شَدِيدًا : فِي الدُّنْيَا بِحِرْمَانِهِ ، وفِي الآخِرَةِ بِعَذَابِهِ : فَآمِنُوا بِاللهِ ، واعْبُدُوهُ ، واتْرُكُوا عِبَادَةَ تِلْكَ الأَصْنَامِ الَّتِي لاَ فائِدَةَ فِيهَا ، ولاَ نَفْعَ يُرْجَى مِنْهَا .

فَقَالَ أَحَدُهُم : أَتَسْتَهْزِئُ بِآلِهَتِنَا يَا نُوحُ ، وتَسْخَرُ مِنَّا ؟!

وقالَ آخَرُ : أَلِهٰذَا جِئْتَنَا يَا نُوحُ ، وحَمَّلْتَ نَفْسَكَ مَشَقَّةَ السَّيْرِ فِي هٰذَا الظَّلاَمِ الحَالِكِ ؟!

وقالَ ثالِثٌ : وبِمَاذَا أَرْسَلَكَ إِلٰهُكَ يَا نُوحُ ؟ ومَا دَلِيلُكَ عَلَى صِدْقِ قَوْلِكَ ؟

فَقَالَ نُوحٌ :

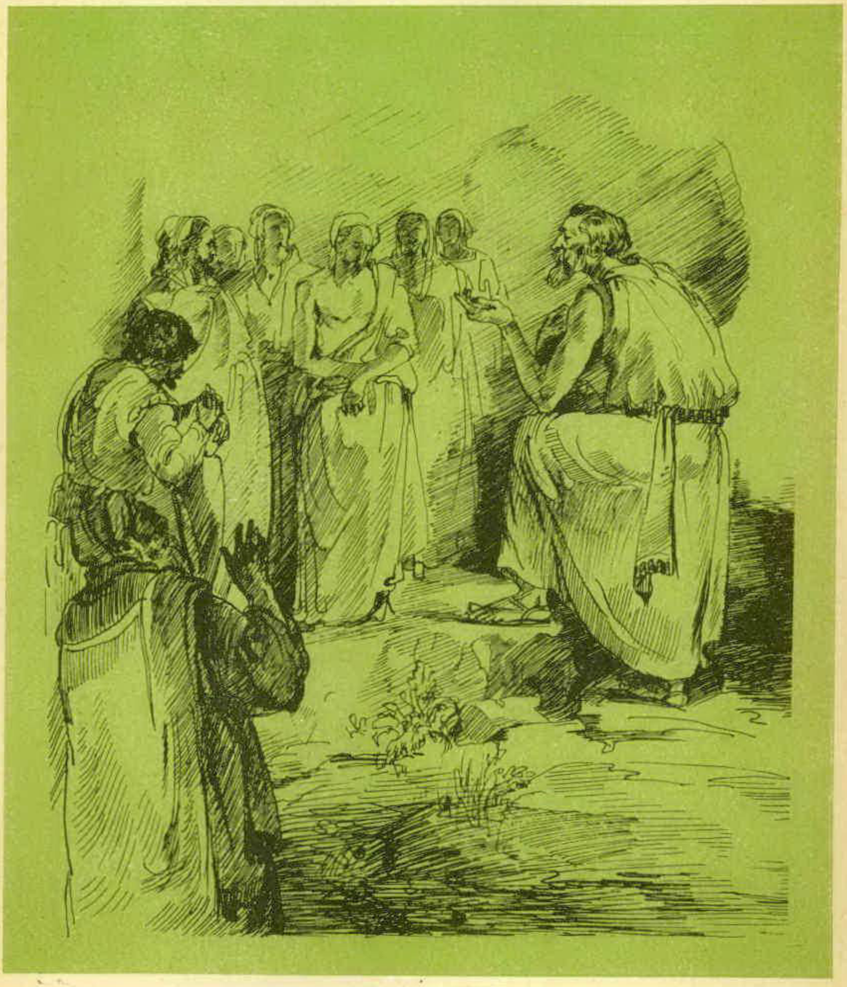
يَا قَوْمِ ؛ مَنِ الَّذِى خَلَقَ السَّماءَ ورَفَعَها ، وزَيَّنَها بِنُجُومٍ لامِعَةٍ ، وكَوَاكِبَ ساطِعَةٍ ، تُنِيرُ لَنَا الطَّرِيقَ ، وتُبَدِّدُ ظُلْمَةَ اللَّيلِ ؟ ومَنِ الَّذِى بَسَطَ الْأَرْضَ ، وجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ وأَنْهارًا ، وأَخْرَجَ مِنْ بَطْنِها زَرْعًا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وفَوَاكِهَ تَنْعَمُونَ بِها ؟ ومَنِ الَّذِى خَلَقَكُمْ فِى أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وفَضَّلَكُمْ عَلَى جَمِيعِ مَخْلوقاتِهِ ؟!

ومَنِ الَّذِى يُفَرِّجُ كَرْبَكُمْ ، ويُزِيلُ غَمَّكُمْ ؟!

إِنَّهُ اللهُ ، الذى خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ، ولَنْ تَستَطِيعَ الأَصْنامُ خَلْقَ شَىْءٍ .

لَقَدْ دَعَوْتُمُوها كَثِيرًا ، ولٰكِنَّها لَمْ تَسْتَمِعْ لِدُعَائِكُم ، وطَلَبْتُمْ مِنْها قَضاءَ حَاجَتِكُمْ ، ولٰكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُجِيبَ طَلَبَكُمْ ، فَهَلْ تَرَوْنَ فِيها نَفعًا ، أَوْ تَرْجُونَ مِنْهَا فَائِدَةً ؟!

يَا قَوْمِ ؛ إنّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهَا ، وَاتَّبِعُوا سَبِيلِى ، وَآمِنُوا بِرِسَالَتِى ، وَاعْبُدُوا رَبِّى وَرَبَّكُمْ .



فَقَالَ أَحَدُهُمْ : وَإِنِّى لَمُتَّبِعُكَ ، وَنَاصِرُكَ ، وَلَنْ أَرْضَى بِغَيْرِ دِينِكَ بَدِيلًا .

وَقَالَ آخَرُ : يا رِفَاقِى ؛ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّنَا قَدْ صَنَعْنَا آلِهَتَنَا بِأَيْدِينَا ؟ ! أَنَسِيتُمْ أَنَّنَا نَحَتْنَاهَا مِنَ الْحِجَارَةِ ؟ ! لِمَ لَا نَتْرُكُ عِبَادَةَ مَنْ لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يُغْنِى عَنَّا شَيْئًا ؟ ! فَلْنُعَاهِدْ نُوحًا عَلَى التَّصْدِيقِ بِرِسَالَتِهِ ، وَالْإِيمَانِ بِدَعْوَتِهِ ، وَلْنَتْرُكْ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، فَإِنَّهَا ضَلَالٌ وَزُورٌ ، وَكُفْرٌ وَبُهْتَانٌ .

وَقَالَ ثَالِثٌ : سَوْفَ لَا أَتْرُكُ دِينَ آبَائِى وَأَجْدَادِى ، فَعَلَيْهِ نَشَأْتُ ، وَعَلَيْهِ أَمُوتُ .

وَمَاذَا تَفْعَلُونَ عِنْدَمَا يَعْرِفُ الْقَوْمُ خَبَرَكُمْ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ قَدْ آمَنْتُمْ بِنُوحٍ ، وَاتَّبَعْتُمْ دِينَهُ ؟ !

فَقَالَ نُوحٌ : لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّنَا بِسُوءٍ ، فَاللهُ مَعَنَا ، وَهُوَ مَوْلَانَا وَنَاصِرُنَا .

مَضَى نُوحٌ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ

الْأَصْنَامِ ، فِي سِرٍّ ، وكِتمَانٍ ، حَتَّى أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَجْهَرَ بِدَعْوَتِهِ ، فَذَهَبَ إلَى أشْرَافِ قَوْمِهِ ، وَجَمَعَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : —

يَا قَوْمِ ؛ إِنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، فَأَصْبَحَ خَلْقًا آخَرَ ، وَصُورَةً أُخْرَى بِهَا عَيْنَانِ تَنْظُرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَأَنْفٌ وَلِسَانٌ ، وَرِجْلَانِ وَيَدَانِ ، وَقَلْبٌ وَرِئَتَانِ ، وهٰكَذَا خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ ؛ أَلَا يَدُلُّ كُلُّ هٰذَا عَلَى قُدْرَةِ اللهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ ، وَلَا يُعْبَدَ سِوَاهُ ؟ !

يَا قَوْمِ ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْأَرْضَ ، وَمَا فِيهَا : مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ ، وَجِبَالٍ وَرِمَالٍ ، وَأَنْهَارٍ وَبِحَارٍ ، وَخَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا : مِنْ كَوَاكِبَ وَنُجُومٍ ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ عَجَائِبِ الْكَوْنِ .

يَا قَوْمِ ؛ لَا تَسْجُدُوا لِتِلْكَ الْأَصْنَامِ ، وَلَا تَعْبُدُوا هٰذِهِ الْأَوْثَانَ ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ غَيْرُ خَالِقَةٍ ، عَاجِزَةٌ غَيْرُ قَادِرَةٍ ، لَا تَجْلِبُ نَفْعًا ، وَلَا تَدْفَعُ ضُرًّا .

اسْتَمَعَ الْقَوْمُ إلَى حَدِيثِ نُوحٍ بِآذَانِهِمْ ، وَلَمْ يَحْفَظُوهُ

بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُطِعْهُ أَحَدٌ غَيْرَ مَنْ أَطَاعُوهُ ، مِنْ فُقَرَاءِ الْقَوْمِ ، وَضِعَافِهِمْ .

أَمَّا الأَغْنِيَاءُ وَالأَشْرَافُ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ صَرَخُوا فِي وَجْهِهِ ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ ، وقَالُوا : —

يا نُوحُ ؛ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ ، وَلَنْ نَتَّبِعَكَ ، لَسْتَ بِأَغْنَانَا ، وَلَا أَيْسَرِنَا ، لَسْتَ مَلِكاً ذَا شَأْنٍ ، أَوْ عَظِيماً ذَا مَكَانَةٍ ، أَوْ صَاحِبَ نُفُوذٍ ذَا خَطَرٍ ، إنما أَنْتَ فَقِيرٌ ، فَكَيْفَ نَتْرُكُ آلِهَتَنَا وَنَتَّبِعُكَ ؟!

يَا نُوحُ ؛ إِنْ كُنْتَ تَرْجُو مَالًا فَخُذْهُ مِنْ أَمْوَالِنَا ، أَوْ كُنْتَ تَطْلُبُ أَجْرًا فَإِلَيْكَ مَا تَطْلُبُ ، إِنَّا نَرَاكَ فَقِيراً مُحْتَاجاً ، تَوَدُّ الْغِنَى ، والثَّرَاءَ ، فَاتْرُكْ دَعْوَتَكَ الْكَاذِبَةَ ، وَارْجِعْ إِلَى عِبَادَةِ آلِهَتِنَا وَآلِهَتِكَ ، فَإِنَّهَا غَاضِبَةٌ مِنْكَ ، وَإِنْ عُدْتَ إِلَى عِبَادَتِهَا أَغْنَيْنَاكَ ، وَالْوَيْلُ لَكَ مِنْهَا إِنْ تَرَكْتَ عِبَادَتَهَا .

يَا نُوحُ ؛ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا

مِنْ فَضْلٍ .

فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ : —

يَا قَومِ ؛ لا أَسْأَلُـكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ، إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللهِ .

يَا قَوْمِ ؛ إِنِّى أُرِيدُ لَـكُمُ الْخَيْرَ ، فَاتَّبِعُونِى ، وَأَرْجُو لَـكُمُ السَّعَادَةَ فَاسْلُـكُوا سَبِيلِى .

تَرَكَهُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، وَذَهَبُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَنُفُوسُهِمْ مَمْلُوءَةٌ بِبُغْضِهِ ، وقُلوبُهُمْ مُفْعَمَةٌ بِكُرْهِهِ .

أَمَّا هُوَ ، فَقَدْ أَخَـذَ سَبِيلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ قَوْمُهُ ، وَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ .

وَلٰـكِنَّ الْيَأْسَ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَى قَلْبِهِ ؛ بَلْ عَزَمَ عَزْماً أَكِيداً أَنْ يَعُودَ إِلَى نُصْحِهِمْ ، وَهِدَايَتِهِمْ ؛ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى .

وَجَاءَ وَقْتُ اجْتِمَاعِهِمْ ، وَكَانَ مَسَاءً ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : —

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اسْتَمِعُوا إِلَى حَدِيثِى ، فَإِنَّ فِيهِ خَيْرَكُمْ وَعِزَّكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ آمِنُوا بِاللهِ ، وَصَدِّقُونِى يَزِدْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ،

إنَّهُ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الْأَنْفُسُ ، وَمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَقَدْ صَنَعْتُمْ آلِهَتَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ ، صَنَعْتُمُوهَا مِنَ الْحِجَارَةِ الْمَقْطُوعَةِ مِنَ الْجِبَالِ ، أَوْ نَجَرْتُمُوهَا مِنْ خَشَبِ الْأَشْجَارِ ، ثُمَّ تَخْضَعُونَ لَهَا ، وَتَسْجُدُونَ ؟!

أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّكُمْ تَعْرِفُونَهَا مَعْرِفَتِي : تَعْرِفُونَ أَنَّهَا عَاجِزَةٌ عَنْ دَفْعِ الشَّرِّ عَنْهَا ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْأَذَى عَنْكُمْ ، أَوْ جَلْبَ الْخَيْرِ لَكُمْ ؟! فَكِّرُوا ، وَتَدَبَّرُوا ، وَاللهُ يَهْدِيكُمْ ، وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ .

فَقَاطَعَهُ أَحَدُهُمْ بِقَوْلِهِ :

الْوَيْلُ لَكَ إِنْ لَمْ تَرْجِعْ عَنْ غَيِّكَ !

وَقَالَ آخَرُ :

يَا نُوحُ ؛ أَرَاكَ قَدْ جُنِنْتَ ، كَيْفَ تُبِيحُ لِنَفْسِكَ أَنْ تُهِينَ آلِهَتَنَا ؟! وَكَيْفَ اجْتَرَأْتَ عَلَيْهَا وَعَلَيْنَا ؟!

كَفَاكَ مَا قُلْتَ ، وَاذْهَبْ عَنَّا ، وَإِلَّا فَالْهَلَاكُ لَكَ .

وَقَالَ ثَالِثٌ :

يَا نُوحُ ؛ لَقَدِ اتَّبَعَكَ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ ، واسْتَجَابَ لَكَ كُلُّ فَقِيرٍ مُحْتَاجٍ .

وَنَحْنُ نَأْبَى أَنْ نُجَالِسَ هٰؤُلاَءِ لِقَذَارَتِهِمْ وَبُؤْسِهِمْ ، فَاطْرُدْهُمْ وَلاَ تُصَاحِبْهُمْ .

إِنَّنا أَثْرِيَاءُ ، وَسَادَةٌ أَشْرَافٌ ، لاَ نُجَالِسُ إِلاَّ مَنْ حَسُنَ مَلْبَسُهُ ، وَجَمُلَ مَظْهَرُهُ ، وَكَثُرَ مَالُه .

فَقَالَ لَهُمْ :

إِنِّى أَخَافُ اللّٰهَ ، وَأَخْشَى عِقَابَهُ إِنْ طَرَدْتُهُمْ .

إِنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَصَدَّقُوا بِرِسَالَتِى ، وَاتَّبَعُوا الْحَقَّ ، وَاجْتَنَبُوا الْبَاطِلَ ، وَهُمْ أَعْوَانِى ، وَأَنْصَارِى .

لَنْ أَتَخَلَّى عَنْهُمْ ، أَوْ أَتْرُكَ مُصَاحَبَتَهُمْ ، فَمَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ اللّٰهِ كَبِيرَةٌ ، وَمَكَانَتُهُمْ عِنْدِى عَظِيمَةٌ .

وَلَيْسَ عُلُوُّ الْقَدْرِ ، وَعِظَمُ الْمَنْزِلَةِ ، بِتِلْكَ الْمَظَاهِرِ الْخَدَّاعَةِ مِنَ الْغِنَى ، وَالثَّرْوَةِ ، وَحُسْنِ الْمَظْهَرِ ، وَجَمَالِ الْمَلْبَسِ ؛ بَلْ بِنَقَاءِ الضَّمِيرِ ، وَصَفَاءِ الْقَلْبِ ، وَاطْمِئْنَانِ النَّفْسِ ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللّٰهُ وَقَدَّرَ ، واتِّبَاعِ الحَقِّ ، وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ ، وَعِبَادَةِ

اللهِ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ، وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ .

فَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ وَتَرَكُوهُ سَاخِرِينَ مِنْهُ ، مُسْتَهْزِئِينَ بِهِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ عَنِ الذَّهَابِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِمْ ، يَنْصَحُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ .

وَفِي آخِرِ مَرَّةٍ ، خَوَّفَهُمْ عَذَابَ اللهِ الْأَلِيمَ ، وَعِقَابَهُ الشَّدِيدَ ؛ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، وَيُصَدِّقُوا بِرِسَالَتِهِ ، وَيَتَّبِعُوا دِينَهُ .

وَلٰكِنَّهُمُ ازْدَادُوا عِنَادًا ، وَاسْتِكْبَارًا ، وَأَصَرُّوا عَلَى عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ ، ثُمَّ غَطَّوْا وُجُوهَهُمْ بِمَلَابِسِهِمْ حَتَّى لَا يُبْصِرُوهُ ، وَوَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ .

وَقَالَ أَحَدُهُمْ : يَا نُوحُ ؛ قَدْ جَادَلْتَنَا ، فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

قَالَ نُوحٌ :

إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِمُعْجِزِينَ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ فِي حُزْنٍ وَأَلَمٍ .

٣

بَذَلَ نُوحٌ جَهْدًا كَبِيرًا فِي نُصْحِ قَوْمِهِ، وَإِرْشَادِهِمْ، وَهِدَايَتِهِمْ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَنْتَصِحُوا، وَلَمْ يَهْتَدُوا.

أَرَادَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَلٰكِنَّهُمْ أَبَوْا، وَامْتَنَعُوا.

حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِاللهِ، وَلٰكِنَّهُمْ طَغَوْا، وَاسْتَكْبَرُوا.

بَيَّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ مِنْ طَرِيقِ الْبَاطِلِ، وَلٰكِنَّهُمْ عَانَدُوا وَتَجَبَّرُوا، وَاسْتَمَرَّ أَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَالطُّغْيَانِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ فِي حُزْنِهِ، وَأَلَمِهِ، وَيَأْسِهِ، وَقُنُوطِهِ — إِذْ بِالْوَحْيِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ يُطَمْئِنُ نَفْسَهُ، وَيُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِهِ؛ وَإِذْ بِهِ يَسْتَمِعُ: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

فَهَدَأَ نَفْسًا، وَاطْمَأَنَّ بَالًا، وَاتَّجَهَ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ:

رَبِّ؛ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا؛ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ، جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ

فِى آذانِهِمْ، وَاستَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ، وَأَصَرُّوا، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا .
ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهارًا، ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ، وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا .

رَبِّ ؛ إِنِّى عِشْتُ بَيْنَهُمْ كَثِيرًا ، وَمَكَثْتُ فِيهِمْ طَوِيلاً ، أَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَتِكَ ، تَارَةً بِالتَّرْغِيبِ وَالْوَعْدِ ، وَأُخْرَى بِالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، وَلَـٰكِنَّهُمْ مَعَ طُولِ الْمُدَّةِ ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِى ، بَلْ أَصَرُّوا عَلَى الْعِنَادِ ، وَالْـكُفْرِ ، وأَوْصَوْا مَنْ بَعْدَهُمْ بِعَدَمِ الْإِيمَانِ بِى وَبِرِسَالَتِى .

رَبِّ ؛ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَازْدَادُوا فِى إِفْسَادِهِمْ ، وَفُجُورِهِمْ .

غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْذَرَهُمْ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ، فَامْتَنَعَتِ الْأَرْضُ عَنْ إِخْرَاجِ الزَّرْعِ، فَأَصَابَهُمُ الْقَحْطُ، فَصَارُوا فِى ضِيقٍ شَدِيدٍ ، يَبْحَثُونَ عَنِ الطَّعَامِ فِى كُلِّ مَكَانٍ فَلاَ يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ ، فَضَاقَتْ بِهِمْ سُبُلُ الْعَيْشِ ، وَأَصْبَحُوا فِى حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ ، يَدْعُونَ آلِهَتَهُمْ فَلاَ تُجِيبُ ، وَيَسْأَلُونَهَا الرِّزْقَ وَالْغُفْرَانَ فَلاَ تَسْمَعُ .

لَجَأَ الْقَوْمُ إِلَى نُوحٍ فَقَالَ لَهُمْ :

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا .

وَلٰكِنَّهُمْ عَمُوا ، وَصَمُّوا ، وتَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ .

يَئِسَ نُوحٌ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لَهُ ، كَمَا يَئِسَ مِنْ صَلَاحِهِمْ ، وَفَلَاحِهِمْ ؛ وَلَقَدْ آذَاهُ تَبَجُّحُهُمْ ، وَاتِّهَامُهُمْ إِيَّاهُ بِالْخَبَلِ وَالْجُنُونِ ، وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ

وَقَالَ :

رَبِّ ؛ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا .

فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ ، وَلَبَّى نِدَاءَهُ .

أمَرَ اللهُ نُوحًا أنْ يَصْنَعَ سَفِينةً كَبيرَةً ، فَخَرَجَ هُوَ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إلَى غَابَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ ، وَحَمَلُوا مَعَهُمْ فُئُوسَهُمْ ، وَآلاتِهِمْ ، وَعَمِلُوا جَمِيعًا فِي قَطْعِ الْأَشْجَارِ ، وَشَقِّهَا ، وَتَسْوِيَتِهَا أَلْوَاحًا ، وَأَخَذُوا يَصْنَعُونَ السَّفِينَةَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِصُنْعِهَا .

وبَعْدَ سِنِينَ تَمَّ صُنْعُ السَّفِينَةِ ، وكَانَتْ مُكَوَّنَةً مِنْ طَبَقَاتٍ ، وكَانَ لَهَا بَابٌ فِي عَرْضِهَا ، ولَهَا غِطَاءٌ مُقْفَلٌ عَلَيْهَا ، مُحْكَمُ الْإقْفَالِ .

كَانَ الْكُفَّارُ ، يَمُرُّونَ عَلَى نُوحٍ وهُوَ يَعْمَلُ السَّفِينَةَ ، فَيَضْحَكُونَ مِنْهُ ، ويَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .

هَا هُوَ ذَا كَبِيرُهُمْ ، يَقُولُ لَهُ :

لِمَ تَرَكْتَ رِسَالَتَكَ يَا نُوحُ ؟ !

ولِمَاذَا تَصْنَعُ هٰذِهِ السَّفِينَةَ ؟ !

هَلْ سَاءَتْ حَالَتُكَ ، فَعَلِمْتَ أنَّ النِّجَارَةَ أَكْسَبُ لَكَ مِنْ

هٰذَا الْقَوْلِ الَّذِى تَفْتَرِيهِ ، وتَخْتَرِعُهُ ؟ !

أَهٰكَذَا يَكُونُ رَسُولُ اللهِ ؟ !

لَقَدْ عرَفْنا الآنَ أَنَّكَ كَاذِبٌ فِى دَعْوَتِكَ ، تَوَدُّ خِدَاعَنَا ، والاسْتِيلاءَ عَلَى أَمْوَالنا ، والْحُصُولَ عَلَى مَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ بَيْنَنا ، لَقَدْ ظَهرَ مَكْرُكَ ، ولَمْ يَعُدْ خَافِياً عَلَى أَحَدٍ .

وهٰكَذَا كانَ يَفْعَلُ بِهِ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ .

وهٰكَذَا كانَ صَابِرًا عَلَى سُخْرِيَتِهِمْ ، واسْتِهْزَائِهِمْ

وفِى يَوْمٍ أَتَى إِلَيْهِ جَمَاعةٌ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّما يَصْنَعُ سفِينَةً لِنَجَاتِهِ هُوَ ومَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ ، ومِنَ الْمَاءِ الَّذِى سَيَعُمُّ الأَرْضَ، فقَالُوا لَهُ :

يَا نُوحُ ؛ لَقَدْ سَمِعْنا أَنَّكَ تَصْنَعُ سَفِينَتَكَ لِنَجَاتِكَ أَنْتَ وأَهْلِكَ مِنَ الْغَرَقِ ، فَهَلْ هٰذا صَحِيحٌ !

فَقَالَ نُوحٌ :

نَعَمْ ؛ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَنِّى صَادِقٌ فِيمَا أَقُولُ .

فَقَالُوا لَهُ : ومَتَى يَكُونُ ذٰلِكَ ؟ ! وأَيْنَ الْمَاءُ الَّذِى تَسِيرُ فِيهِ سَفِينَتُكَ ؟ !

فَقَالَ نُوحٌ : سَيَكُونُ ذٰلِكَ قَرِيباً، وسَوْفَ تَغْرَقُونَ جَمِيعاً.

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ تَهْذِي ، لَقَدْ عَرَفْنَاكَ فَلَمْ نَعُدْ نُصَدِّقُكَ ، افْعَلْ مَا بَدَا لَكَ ،وَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْمَخْبُولُ .

فَقَالَ لَهُمْ :

إِنَّكُمْ غَافِلُونَ عَمَّا سَيَلْحَقُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، إِنَّ مَوْتاً مُحَقَّقاً يَنْتَظِرُكُمْ ، سَوْفَ تَذُوقُونَ أَلْوَانَ الْأَلَمِ ، وَصُنُوفَ الْعِقَابِ ، وسَيَأْتِي الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ .

فَتَرَكُوهُ وانْصَرَفُوا سَاخِرِينَ مِنْهُ ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ مُطْمَئِنِّينَ إِلَى أَنَّهُ مَجْنُونٌ .

أَتَمَّ نُوحٌ سَفِينَتَهُ ، وجَاءَ الْمَوْعِدُ الْمَحْدُودُ ، فَأَمَرَهُ اللّٰهُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا أَهْلَهُ ، ويَضَعَ فِيهَا مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ ، وطَيْرٍ ، وزَوَاحِفَ ، وحَشَرَاتٍ ، ووُحُوشٍ ، و بُذُورٍ ، وحُبُوبٍ — زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ : ذَكَراً وأُنْثَى .

وأَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ ، ومَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ اللّٰهَ سَيُغْرِقُ الْأَرْضَ .

ذَهَبَ نُوحٌ لِجَمْعِ هٰذِهِ الْأَصْنَافِ الَّتِي أَمَرَهُ اللّٰهُ بِهَا .

ولَقَدْ وَفَّقَهُ اللهُ ، فَأَتَى بِزَوْجَيْنِ مِنَ الحمَامِ ، والدَّجَاجِ ، وكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ الطُّيُورِ .

وأَتَى بِالْخَيْلِ ، والْحَمِيرِ ، وكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ الْحَيَوَانِ مُسْتَأْنِسًا ، أوْ مُتَوَحِّشًا .

وأَتَى بِالثَّعَابِينِ ، والسَّلَاحِفِ ، وكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ الزَّوَاحِفِ .

وأَتَى بِالْعَقَارِبِ ، والصَّرَاصِيرِ ، وكُلِّ أنْوَاعِ الْحَشَرَاتِ .

ولَمْ يَنْسَ أنْ يَأْخُذَ مَعَهُ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الطَّعَامِ ، والشَّرَابِ ، وأصْنَافِ الْحُبُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، والْبُذُورِ الْمُتَنَوِّعَةِ .

ولَمَّا دَخَلَتْ كُلُّ هٰذِهِ الْأَنْوَاعِ فِي السَّفِينَةِ ، دَخَلَ نُوحٌ ، وكُلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ إلَّا زَوْجَهُ ؛ فَقَدْ كَانَتْ عَاصِيَةً كافِرَةً .

أَغْلَقَ نُوحٌ أبْوَابَ السَّفِينَةِ ، وأخَذَ كُلٌّ مَكَانَهُ فِيهَا .

ونَسِيَ الْكَلْبُ عَدَاوَتَهُ لِلْقِطِّ .

ونَسِيَ الْقِطُّ غَرَامَهُ بِالْفَأْرِ .

ونَسِيَ الذِّئْبُ افْتِرَاسَهُ لِلْغَنَمِ والْمَعِزِ .

ونَسِيَ الْفِيلُ بُغْضَهُ لِلنَّمِرِ .

وهكذا أصبحَ جميعُ مَا في السَّفينةِ : مِنْ حيَوانٍ ، وطَيْرٍ ، وَغيْرِهما — في أُلفةٍ ، وتوَادٍّ .

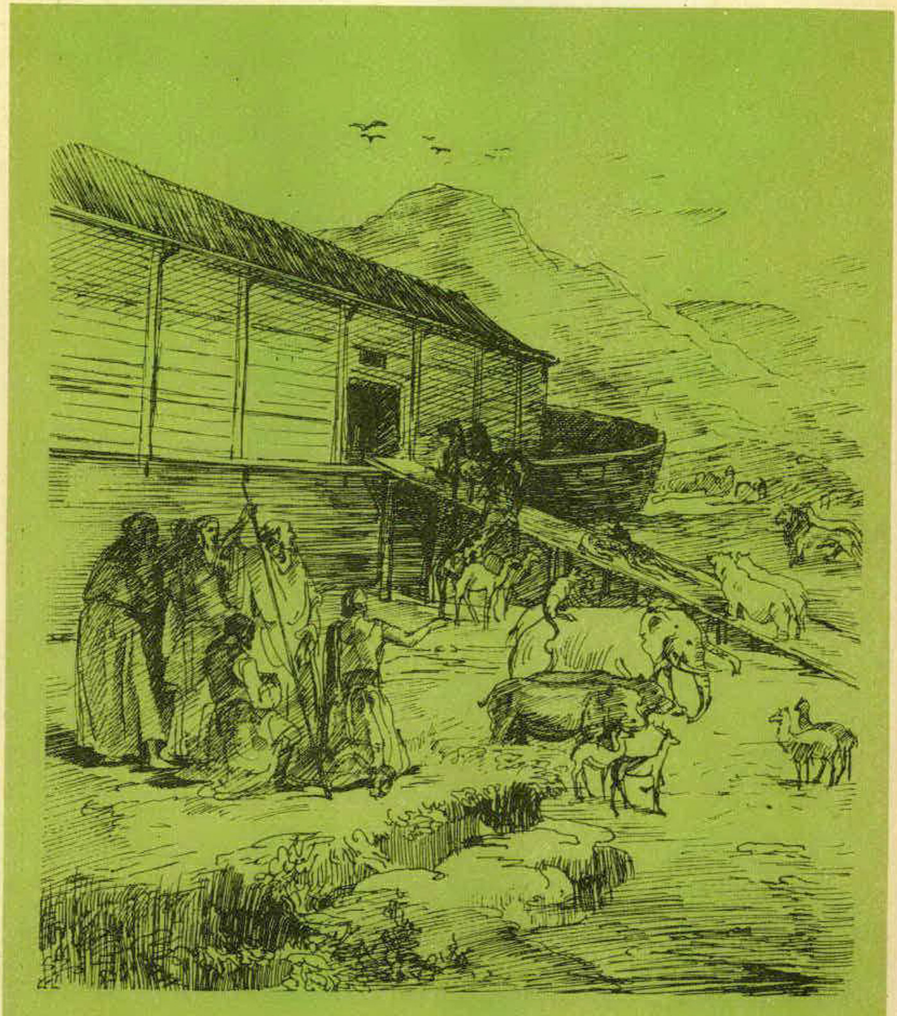
اطْمَأَنَّ نُوحٌ ، وهَدأَ ، وسَجَدَ لِلهِ شَاكِرًا ، وانتَظرَ أمْرَهُ وَوَعْدَهُ .

وَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهةٌ ، حَتَّى أَظْلَمَتِ السَّماءُ ، وهَبَّتْ رِيَاحٌ ، وعَوَاصِفُ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطرٌ غَزيرٌ ، وتفَجَّرَتْ عُيونُ الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيها .

عَمَّ الْمَاءُ جَمِيعَ الْأَرْضِ ، فحَمَلَ السَّفِينَةَ ، ومَنْ فِيهَا ، ومَا فِيهَا .

رَأَى الْكُفَّارُ ذٰلِكَ ، فَأَصَابَهُمُ الذُّعْرُ ، والْخوْفُ ؛ وعَمَّهُمُ الْفزَعُ ، والْهَلَعُ ، وأَصَابَهُمُ الْجُنونُ ، والْخَبَلُ ، وهُمْ لَا يدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ !! لَا مَلجَأَ يَحْمِيهِمْ ، ولَا مُنْقِذَ يُنْقِذُهُم ، ولَا مُعِينَ يُسَاعِدُهُم .

ذَهَبُوا إلَى الْجِبَالِ يَحْتَمُونَ بِهَا ، ويَتَحَصَّنُونَ بِقِمَمِها ، ولٰكِنْ أَنَّى لَهُمْ ذٰلِكَ ، والْمَاءُ يَعْلُو ويَرْتَفِعُ ، والْموْتُ يَجْرِي فيَقْتَرِبُ !!



نَظَرَ نُوحٌ مِنْ نَافِذَةِ السَّفِينَةِ ، فَرَأَى الْقَوْمَ ، يَبْتَلِعُهُمُ الْمَاءُ ، وَيَتَخَطَّفُهُمُ الْمَوْتُ ، فَعَلِمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وأَنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ .

وَبَيْنَمَا نُوحٌ يُقَلِّبُ النَّظَرَ، لِيَقِفَ عَلَى مَصِيرِ الْقَوْمِ — رَأَى ابْنَهُ (كَنْعَانَ) ، يُصَعِّدُ فِي الْجَبَلِ ، فَحَزِنَ وتَأَلَّمَ ، وَقالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

يَا بُنَيَّ ؛ ارْكَبْ مَعَنَا ، ولَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ .

أَشْفَقَ نُوحٌ عَلَى وَلَدِهِ ، وأَرَادَ نَجَاتَهُ مِنَ الْغَرَقِ .

وتَحَرَّكَتْ فِيهِ عاطِفَةُ الْأُبُوَّةِ ، فَنَادَاهُ كَثِيرًا ، وتَمَنَّى له السَّلَامَةَ .

ولٰكِنَّ ابْنَهُ لَمْ يُؤْمِن بِهِ وبِرِسَالَتِهِ ، ولَمْ يَتَّبِعْ دِينَهُ ، فَأَعْمَى اللهُ بَصِيرَتَهُ ،ولَمْ يَهْدِهِ إلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ : لِعِصْيَانِهِ وجُحُودِهِ ، وكُفْرِهِ ، وعِنَادِه .

فَقَالَ لِأَبِيهِ :

سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ .

قال نوحٌ :

لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ .

وفِي غَمْضَةِ عَيْنٍ، ابْتَلَعَ الْماءُ ابنَ نوحٍ مَعَ مَنِ ابْتَلَعَ مِنَ الْكافِرِينَ، وَزالَتِ الْأَصْنَامُ، والْأَوْثَانُ.

وَلٰكِنَّ نوحاً، ما زالَ يذْكُرُ ابْنَهُ، ويَرْجُو مِنَ اللهِ نَجَاتَهُ، فقالَ:

رَبِّ؛ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ، وأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ.

فقال اللهُ:

يَا نُوحُ؛ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ، فلا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ.

فاسْتَغْفَرَ نُوحٌ رَبَّهُ، واعْتذَرَ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ إلْحاحِهِ عَلَى اللهِ أَنْ يُنَجِّيَ ابْنَهُ.

سارَتِ السَّفِينةُ — باسْمِ اللهِ مَجْرِيها، وَمُرْساها — بَيْنَ أَمْوَاجٍ عالِيَةٍ، ورِياحٍ شَدِيدةٍ، وعَواصِفَ كَثِيرَةٍ، وأمْطارٍ غَزِيرَةٍ؛ مَلَأَتِ الْأَرْضَ، وغَطَّتْ قِمَمَ الْجِبَالِ، ولَمْ يَبْقَ جُزْءٌ مِنْها غَيْرُ مَغْمُورٍ بِالْمِياهِ؛ فغَرِقَ الْعُصاةُ الْمُعانِدُونَ جَمِيعاً، ولَمْ يَنْجُ



مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي السَّفِينَةِ ؛ وهُمُ الذينَ اتَّبعُوا نوحاً ، وآمَنُوا باللهِ ، وَعَبَدُوهُ ؛ ومَا كانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ : مِنْ حَيَوَانٍ ، وَطَيْرٍ ، ونَبَاتٍ .

أَمَرَ اللهُ السَّماءَ أَنْ تَكُفَّ عَنِ الْمطرِ ، وأَمَرَ الْأَرْضَ أنْ تَبْلَعَ الْماءَ . فرَسَتِ السَّفِينةُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ .

واسْتَقَرَّتْ ، فَأَحَسَّ نُوحٌ ، ومَنْ مَعَهُ ؛ أَنَّ السَّفِينَةَ ، لاَ تَتَحَرَّكُ ، فَفَتَحَ نافِذَةً ، وأَطَلَّ مِنْهاَ ، فَرَأَى الأَرْضَ فَسِيحَةً وَسِيعَةً ، والشَّمْسَ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهاَ عَلَى الْكَوْنِ . فَفَرِحَ فَرَحاً شَدِيدًا ، وأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بمَا رَأَى ، فسُرُّوا جَميعاً ، وحَمِدُوا اللهَ ، وَشَكَرُوهُ ، وأَثنَوْا عَلَيْهِ ، وسَبَّحُوهُ ، ثُمَّ طَلَبُوا مِنْ نُوحٍ أَنْ يَفْتَحَ أَبْوَابَ السَّفِينةِ . حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ظَلاَمِهاَ الشَّدِيدِ .

فَتَحَ نُوحٌ أَبْوَابَ السَّفِينَةِ ؛ بَعْدَ أَنْ غَاضَ الْماءُ وجَفَّتِ الْأَرْضُ وأَمْكَنَ السَّعْيُ فِيهاَ ، والاسْتِقْرَارُ عَلَيْهاَ ، وقَالَ اللهُ لَهُ :

يَا نُوحُ ؛ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنَّا ، وبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ، وعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ .

ثُمَّ أَخْرَجَ نُوحٌ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَوَحِّشَةَ بِأَنْوَاعِهَا ، والطُّيُورَ الْجَارِحَةَ عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا .

ثُمَّ أَطْلَقَ الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِيفَةَ ، والطُّيُورَ الْمُسْتَأْنِسَةَ .

وأَخِيرًا خَرَجَ هُوَ وأَهْلُهُ ، ومَنْ آمَنَ بِهِ ، واهْتَدَى بِدِينِهِ . فَعَاشُوا جَمِيعاً فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ : يَحْرُثُونَهَا ، ويَزْرَعُونَهَا ، ويَنْعَمُونَ بِخَيْرَاتِهَا ، ويَبْنُونَ الْبُيُوت ، ويُشَيِّدُونَ الْمَبَانِيَ ، فَعَمَرَتِ الْأَرْضُ ، ودَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ ؛ بَعْدَ هٰذَا الطُّوفَانِ الْعَظِيمِ .

وهٰكَذَا انْقَضَتْ حَيَاةُ نُوحٍ ، بَعْدَ أَنْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ إلَّا خَمْسِينَ عَاماً ؛ فِي جِهَادٍ عَنِيفٍ ، وصَبْرٍ طَوِيلٍ .

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

٥ قروش ج.ع.م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق . ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق . س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } الأخرى